العنف فى تسمية الأعضاء

عبد الحق فاضل

يا طالما أطربنا الشعراء الكرام بذكر مفاتن القدود والخدود والوجنات والأجياد والنحور. فهل فكرنا ياترى فى أصل هذه التسميات، وما تنطوى عليه من معان فظيعة، مخوفة، تقشعر لها الأبدان.

أما (القد) فهو بكل بساطة : القطع، وأى قطع ؟ القطع المستأصل ! ثم لأمر ما صار يعنى قامة الرجل "على زعم مجد الدين الفيروز ابادى، الذى أخذ بالجانب الأخشن، نكاية بالشعراء، متجاهلا الأجمل والألطف، وهو قامة المرأة، سامحه الله ! كان عليه أن يتفادى من كل حرج، وأن يكون علميا فى نفس الوقت، فيقول أن القد هو قامة "الإنسان".

لكن هذه ليست جريرة المحب وحده، بل يشاركه فيها معجميون آخرون.

وأما (الخد) فليس أهون شأنا ، صحيح أن معنى الخدين على قوله "مؤخر العينين إلى منتهى الشدق، أو الذين يكتنفان الأنف عن يمين وشمال، أو من لدن المحجر (العين) إلى اللحى"، لكن الخد بالرغم من كل شئ مشتق من فعل (خد يخد) الذى إنما يعنى شق يشق، ومن ذلك (الأخدود): الشق أو الحفرة الطويلة فى الأرض، و(الأخاديد): أثار سياط على الجسم .

وأما (الوجنة) فمن (الوجن) أى الدق والهرس، ومن ذلك قالوا وجن به الأرض: ضربها به، ووجن القصار الثوب: دقه، والميجنة : المدقة، فيا لضيعة الغزل وخيبة الهيام.

وأما (الجيد) الأغيد الجميل فواحسرة عليه، أنه من (الجد) أى القطع أيضا، أى الذبح بصريح العبارة، ألا تصدقون؟ إليكم:

النحر:

و هو أخو الجيد، فالنحر الذى يترنم به المشببون المساكين ما هو فى أصل معناه الا موضع ذبح البهيمة، ونحرت البعير نحرا، وتناحارا: "طعنته حيث يبدو الحلقوم على الصدر"! و"يوم النحر" لا يحسبن القارئ المستهام أنه يوم استعراض نحور الغيد لاختيار أجمل نحر فى المدينة أو القطر أو العالم، فإنما هو يوم الذبح وحسب، أى يوم عاشر ذى الحجة الذى يجئ فيه أجل الأضاحى.

ولم يقتصر تطور معانى الكلمة على الجمال كالذى رأينا بل شمل العلم والفهم فى قولهم (النحرير والنحر) بكسر نونيهما بمعنى "الحاذق، الماهر، العاقل، المجرب، المتقن، الفطن، البصير بكل شئ" !! أى والله، كل هذه الصفات المثلى يغدقها عليه الفيروز ابادى" لأنه على قوله – ينحر العلم نحرا " ! والذى نتوهمه أن ذلك الفطن الفهامة إنما سمى نحريرا ونحرا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لأنه يحسن الذبح، ذبح الشاه والإبل ويتقنه، لا ذبح العلم ذبحا، ثم انتقل المعنى إلى الحذق والإتقان والبصر بكل شئ .. مثل (العقل) الذى كان معناه الأول عقل الناقة أى ربطها، ثم انتقل إلى معناه الفكرى المعروف.

القامة :

فلنعد إلى (القد) لكى نلاحظ أن أسماء أخرى تعنى جسم الإنسان كله قد صيغت من معنى القطع كذلك، منها (القامة) التى تقدم ذكرها فى تعريف القد، والشعراء يفضلون ذكر مرادفها (القوام) ، واصل معنى مادة (ق و م) هو القطع فيما نعتقد وإن كان ذلك قد كاد يختفى من المعجم العربى، وقد بقى فى المعجم من هذا المعنى قولهم (اقتام الأنف): جدعه .

الجسم :

وهو البدن، ومنه صيغ (الجسيم) و(الجسام) زنة سعيد وسعاد : البدن، أى العظيم الجسم، وأصل الجسم هو (الجسمان) - كالبرهان وهذا أصله:

الجثمان :

بمعناه، وهذا أصله فعل (جثم) أى لزم مكانه أو وقع على صدره، وهذا أصله فعل (جث جثا) أى قطع قطعا، أو انتزع الشجر من أصل و الظاهر أن هذا أصل التسمية ، وأخالهم استعملوا هذه الصيغة منذ كانوا يقتلون طريدتهم بالسهام والرماح وهى واقفة أو راكضة، فتخر على وجهها وتتلقى الأرض بصدرها، أى تجثو وتجثم، ومن ثم كان معنى :

الجثة :

هو جسم الميت، ولو أنه يستعمل لجسم الحى أيضا، ويبدو لنا (الجثمان) أنه كان يعنى جسم الميت أولا ثم استعير للحى كذلك، فصار يقال مثلا: فلان عظيم الجثة أو الجثمان، ثم نطقوه:

الجسمان (بالضم) :

ومن ثم ظهرت صيغة (الجسم) بكسر الجيم هذه المرة.

القرد :

الحيوان الكاريكاتورى، ابن عمنا، المعروف ، جاءت تسميته من فعل (قرد يقرد قردا) الذى كان أصل معناه القطع وإن كان قد تطور أخيرا وصارت له معان أخرى، ودليلنا على ذلك أن :

القرد (زنة الفرد) :

يعنى العنق أى موضع قطع الذبيحة كالجيد و النحر، وأصل (القد) زنة الحد - الذى يعنى كذلك جلد السخلة، مما يؤيد معنى القطع أى الذبح ويضيف إليه السلخ، و(القد) زنة السر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- إناء من جلد، كما يعنى (السير) وهو الجلد المقطوع طولا كالشريط، ويعنى السوط كذلك، مما يدل على أن أصل السياط كان من الجلد ولا يزال يتخذ من الجلد أو غيره.

الخد :

عندما يريدون فتح فكى رأس الذبيحة - حتى اليوم - يشقون لحمه الوجه على طول مجرى تلاقى الأسنان بين الفكين، أى يخدونها، أى يحدثون فى الوجه خدا أو أخدودا، ولا بد أن أبناء العصور الحجرية قد كانوا يفعلون نفس الشئ بقنيصهم الذى يجتمعون على افتراسه، يخدون وجهة من الأذن إلى الفم ليتمكنوا من فك الفكين وهذا أيضا دليل استطرادى على أصل تسمية (الفك) فقد كانوا (يفكونه) لاستخراج ما فى داخل الفم من لسان وجلد.

الوجنة :

فهى نفسها هذا النتوء تحت العين، الذى يشبه فى استدارته وحمرته التفاح، فى وجنات الأطفال والعذارى والمسلولين. وما زال إخلاف أولئك الحجريين الأوائل إلى هذه الدقيقة يدقون عظم الوجنة ليكسروه ويستخدموا ما فى داخله من مخ، أى كانوا يجنونه فلهذا سمى الوجنة.

والجيد :

العنق، حكايته واضحة، فهو موضع الجد أى القطع من الذبيحة، وقد اكتشف القدميون أن جد الرأس دون غيره من الأعضاء يسبب موت المخلوق الذى يوقعه سوء حظه بين أيديهم، والجيد أيضا صار كالنحر يعنى موضع القلادة بالإضافة إلى معناه الأصلى : العنق.

ومن الجيد صاغوا (الأجيد) أى الطويل الجيد ، ومؤنثه (الجيداء)، ثم ظهرت صيغة صادية أى (الأصيد) وهو المائل العنق ثم صار يعنى الرجل الذى يرفع رأسه كبرا، وجمعه (الصيد) - زنة العيد - ومن ثم قالوا عن أبطالهم : الأشاوس الصيد. وظهرت كذلك صيغة (الأغيد) حيث قالوا: غيد غلام يغيد غيدا "من باب فرح" بمعنى : مالت عنقه، ثم بمعنى : لانت أعطافه على اعتبار ميلان عنقه قد كان عن دلال ونعومه، ومؤنث الأغيد هو (الغيداء) وجمعها (الغيد).

من كل ما تقدم نرى رؤية عيان واقتناع أن الأسماء الذبحية والقطعية أطلقت أولا على أعضاء الحيوان ثم استعيرت للإنسان حيث ارتفع شأنها بارتفاع صاحبها، فاستخرجت منها معانى الترف والنعومة والجمال والدلال، وحسبك بهذا (الجيد) وذلك (النحر) دليلا على مكان الذبح من الحيوان ومكان القلادة بل التقبيل من (الغيد) الحسان.

الجبهة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معناها معروف، ومبناها أصله (الجب) - زنة الصب : القطع، فلعلهم كانوا يجبون الجبهة لكسر الجمجمة واستخراج مخها، وقارئنا الكريم يعلم أن إضافة الهاء إلى (الجب) أمر لا غرابة فيه فقد فئم فعل (القط) مثلا - أى أضيفت إليه حروف - فصار قطب وقطع وقطف وقطم وقطل ..ومثله أفعال القص والقد والجد.

الجبين :

أنه الجبهة معنى، وأصله (الجب) مبنى..

العضلة : يظهر أن تسميتها قد جاءت من (العض) لأنها تؤكل عضا.

العظم :

تم صيغ العظم من العضلة للصوقها به، من باب تسمية الجار بالجارة.

الضلع :

كذلك سمى الضلع من اسم العضلة أسوة بالعظم، لكن الصيغة مقلوبة هذه المرة.

العضد :

وينطق بعدة صور من تغيير الحركات على حروفه، وحسبنا منها الآن الصيغة الشائعة (بفتح الضم) ولعل اصله العض أو العضلة كذلك ولا سيما أنهم قالوا عضد القتب البعير : عضه فعقره، فعلى هذا يكون معنى العض مازال باقيا فى العضد.

لكن العضد من أخرى أقرب مبنى ومعنى من (الخضد) فقد قالوا عضدت الشئ: قطعته، والمعضاد والمعضد : سيف للقصاب يقطع به العظام وأداة لقطع الشجر، واستعضدت الشجرة : قطعتها، كذلك قالوا خضد العود: قطعه، وخضد الشجر : قطع شوكه، واليخضود والخضد زنة البلد - كل ما قطع من عود رطب أو تكسر من شجر، وانخضدت الثمار: تشدخت ، ومن أخوات خضد : خضر وخضل وخضب وخضم.

الأزر (زنة العزم) :

من معانيه القوة، والظهر، والقوة أصل التسمية، لأن ظهر الشاه صلب تحت يد من يتحسسها ليتعرف سمنها، ولصلابة الظهر اشتقوا (المتانة) من اسمه الآخر: المتن، (الصلابة) من اسمه الثالث : الصلب.

لكن يجوز أن يكون الظهر قد سمى (أزرا) ومن الأزر صيغت المؤازرة بمعنى المساعدة ، وقد تحير اللغويون فى تأصيل :

الظهر :

يبدو أنه قد صيغ، بقلب وإبدال، من (الأزر) ومنه أيضا نشأت معانى المعاونة، ومنها الظهير والمظاهر كالوزير والموازر.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكن نشأ منه كذلك معنى (الظهور) فصار (الظاهر) ضد الباطن، و(التظاهر): الظهور أو تعمد إظهار حالة ما، أشبه بمعنى الرئاء من الرؤية.

البشر (زنة البقر) :

الإنسان ذكرا أو أنثى، فردا أو جمعا، وقد سمى بذلك من البشرة (زنة البقرة)، والبشر جمعها، ومعنى (بشرت الشئ) كان وما زال : قشرته، فالبشرة هى القشرة، وبشرة الحيوان وجميعها لا يعنيان إلا الجلدة والجلود، وكما أطلقوا (السلخة) على ولد الشاه - وأصلها (السلخ): ما سلخ عن الشاه أطلقوا هذا الجلد المسمى بشرة على جلد الإنسان حتى اختص به دون إخوانه من بنى الحيوان، أو كاد.

المرفق :

نعتقد أن أصل (المفرق)، من فرقت (بالتخفيف والتشديد) بين الشياين : فصلت بينهما، وفرقت شعرها بالمشط : سرحته شقين، ومن ثم صار (الفرق) يطلق على مفرق الشعر، و(المفرق) يطلق على مفرق الشعر وعلى موضع انشعاب الطريق.

وقد أطلق الأعربون الأقدميون (المرفق) على موضع القطع بين كل عظمين فيما نظن، ثم اختص بموضع اتصال الساعد بالعضد، أو افتراق عظامها على الأصح.

الفقرة :

هى أيضا مقلوبة من (الفرق) كالمرفق، وربما كان استعمالها عاما للقطع أول أمرها ثم اختصت بحزازات الظهر، وتنطق الفقرة من وزن النظرة والفطرة، لكن معنى القطع ما زال واضحا فى مادة (ف ق ر)، كقولهم فقرت الشئ : حززته وأثرت فيه، وقالوا فقرته الداهية: نزلت به وكأنها كسرت فقرات ظهره، ومن هنا سميت (الفاقرة)، بل هى "الداهية الشديدة"، والحق معهم، فما كل داهية تكسر الفقرات، وقد افتنوا فى تسميتها استفظاعا لها فدعوها (الفيقر)! فلا عجب من ثم أن يسموا المعوز المدقع (فقيرا) أى مفقورا، أى مصابا بفاقرة، وبعد ذلك صيغ الفقر والافتقار .

المفصل :

على ذكر المفرق نذكر (المفصل) فهو كما هو معلوم مكان فصل العظام بعضها عن بعض، والأصح مكان اتصالها ببعضها البعض، وهذه نظرية جديدة معاكسة لكل ما تقدم، فمن شأن جميع التسميات السابقة القطع والفصل، لكن التأصيل اللغوى هو الذى يقودنا إلى هذه النتيجة المعكوسة، ذلك بأن الفصل أصله (الوصل)، وهذا من أصله (الأصل) وهذا من (الأص) من قولهم (أصصت الشئ) : شددته ووثقته، ومنه (الأصيص): الوعاء الذى تزرع فيه الرياحين وبعبارة أخرى الوعاء الذى يحتوى أصولها أى جذورها، وهذا من (الأس) : الأساس.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالظاهر أنهم سموا مكان اتصال عظمين (الموصل) ثم نطقوه بالفاء فصار لفظه (المفصل) زنة الموصل، لا زنة المرفق وهو على قول المعجم: كل ملتقى يعنى عكس الوصل: أى التفريق، أى أنهم سموه أو لا من معنى الوصل، ولما كانوا يقطعونه كبقية الأعضاء انعكس معناه.

الكتف :

من معنى القطع أيضا، قالوا كتفت اللحم ونحوه قطعته قطعا صغارا، ولا نشك أن المعنى كان: قطعته قطعا صغارا أو كبارا، على السواء.

ومن أسرة الكتف : القطف والخطف وقديما قالوا : خطف رأسه بالسيف.

ثم قالوا : كتفت الرجل - بتشديد التاء أو تخفيفها: قيدت يديه إلى خلف كتفيه' و(الكتاف) زنة الكتاب : حبل التكتيف، وصار فعل (كتف) ينطق (كتب) أيضا، وبنفس المعنى، ثم صار يعنى رسم الكلمات بمعنى تقييدها، كما قالوا بعد ذلك قيدت الكلام أو الحساب: بمعنى كتبته ودونته.

الظفر (زنة الشكر) :

وينطق بضمتين كذلك، كما ينطق (الأظفور) زنة العصفور، وأصل الظفر هو (الظلف) أى القدم المشقوقة من الشاة والبقرة والظبى ونحوها من السائمة، وهو بمنزلة الحافر من الحصان، وإنما سمى ظلفا لأن أصله (فلذ) أى شق فان (التفليذ) هو التقطيع، أصله (فلق).

وقالوا ظفره يظفره : غرز فى وجهه ظفره، وظفر به : فاز به، ثم صار (الظفر) كالقمر يعنى الفوز والانتصار.

القدم :

أصلها فعل (القد) أيضا، ولعلهم أطلقوها أولا على الحوافز والأظلاف، ثم انتقلت إلى الإنسان.

الخصر (زنة النصر) :

هو من معنى القطع الذى زال أو كاد من هذه الكلمة، وبقى (الاختصار) أثرا يدل على هذا المعنى كقولهم اختصرت الكلام : اختزلته بحذف بعضه. والحذف أصله القطع، والحذف من الكلام لا شئ سوى القطع.

وربما سمى الخصر والخاصرة من معنى قطع الحيوان من وسطه لتقسيمه.

الجذع (زنة الجسم) :

جذع الإنسان بدنه بلا رأس ولا أطراف، وجذع الشجرة ساقها بلا جذور ولا أغصان، وهو أصلا من فعل (جدع) بالدال المهملة أى قطع ، ثم أوشك أن يختص بقطع الأنف، فقيل جدعت أنفه، فهو مجدوع.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القص :

والقطع فيه أوضح من أن يقبل إيضاحا، وهو عظم الصدر الذى تلتقى بـــه الأضـــلاع على الجانبين، ويسمى (القصص)، وقد كانوا وما زالوا يقصونه لفتح الصدر.

الإصبع :

هذه لها قصة طريفة، لعل القارئ قد لحظ أن فى ساق الدجاجة المقطوعة عصبا يظهر رأسه من القطع، فإذا سحبته بإصبعيك انقبضت أصابع الدجاجة وإذا أطلقته انبسطت الأصـــابع كما كانت. والذى يذهب إليه ظننا أن تسمية (إصبع) قد جاءت من هـــذا (العصـــب)، لكننـــا لا ندرى هل هو عصب الدجاجة خاصة أم عصب غيرهـــا مـــن الطيـــور أو الحيوانـــات ذات الأصابع، وهذا التأصيل يدل على أن ذلك الاعربى الغابى كـــان قـــد اكتشـــف هـــذه اللعبـــة التشريحية. هذه التسمية أيضا ليست من القطع المباشر، لكنها من عملية سحب العصب الـــذى لا يظهر إلا بعد القطع.

الوفرة (زنة الطفرة) :

هى على الشائع شعر الرأس، لكن المعجم يحددها بقوله : "ما سال من الشـــعر علـــى الأذنين" و(الوافرة) إلية الكبش، إذا عظمت.

لكن الذى لا نشك فيه أن أصل (وفرة) الرأس هى (فروته)، ويؤيدنا المعجم فـــى هـــذا بقوله أن الفروة : جلد الرأس بشعرها.

والفروة أصلها فعل فرى الشئ : قطعة، تفرى تفريا : تشقق، وواضـــح أن (الفـــروة) أطلقت أولا على جلد الحيوان ولو لم يكن فيه شعر طويل ثم على الجلد الذى يكسوه الصـــوف أو الوبر، ثم استعيرت لرأس ابن آدم.

ويظهر أن العرب استعملوا (الوفر) لفرو الحيوان عامة لا لما ســـال علـــى الأذنـــين وحسب ما يقول المعجم.

الذقن :

يخيل لنا أن أصله (القذ) أى القطع والقص، من قولهم (المقذ) زنة المقـــص الســـكين، (والمقذذ) بتشديد الذال الأول وفتحه: المقصص الشعر، ثم ظهر قولهم قذم له مـــن المـــال، أو قثم، أو غثم : دفع له جيده، والدليل على أن أصل المعنى فى هذه الألفاظ ومـــا يقاربهـــا فـــى المعجم هو القطع كقولهم لقثم الشئ : استأصله. ومن ثم صيغ (الـــذقن) - زنـــة الـــوطن - أى الحنك و(الذاقنة) : ما تحت الذقن، أو رأس الحلقوم، أو طرفه النائى .. أو أسفل الـــبطن ممـــا يلى السرة، فالكلمة كما ترى لها معان قطعية وقصية غير قليلة، وهـــذا كـــان شـــأن أســـماء الأعضاء الأخرى ولا شك فقد كانت أول أمرها تطلق على أى مكان من الجسم يقطع، قبل أن تستقر على عضو .. أو أكثر من عضو.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجلد :

اجلاد الإنسان وتجاليده : جماعة شخصه أو جسمه، وتجليد الجزور : نـزع جلـدها، وجلدته تجلده : أصبت جلده أو ضربته بالسوط، لأن السوط يؤثر فى الجلد .. الخ، ومن هـذا صيغ التجليد والجلادة والجليد. وأصله (الجلد) : القطع.

ومن الجلد بالسوط قيل تجالدوا بالسيوف : تضاربوا .

البطن :

ظهر فعل (بط يبط) بمعنى شق شقا وفجر تفجيرا، على تلك الصـورة، ثـم اخـتص بمعنى الشق دون التفجير ، ولو أنهم ما زالوا يقولون بالدراجة العراقية ينبط قلبـه : بمعنـى ينفجر .

ثم ظهرت صيغ كثيرة منها بطؤ : تأخر ، ووطئ الشئ : داسه برجله ، وبطح وفطح وبلطح وفلطح وفرطح .. ومنها صيغة (البطن) الذى يقع عليه الوطء والانبعاج.

البدن (زنة البلد) :

ومن البطن نشأت صيغة (البدن) التى تعنى الجثة والجثمان والجسـم والقـد والقامـة والقوام .. التى تكونت كلها من معنى القطع .. إلا هذا (البدن) وإلا أصل (البطن) الذين تكونـا من الانفجار ، وإنما ذكرناه هنا لأن منشأه حيوانى أيضا، وعنفى.

الأذن :

نحسبها من (الهذم) : القطع، ولما كانت هى آلة السمع فقد نشـأ منهـا معنـى العلـم بحدوث الشئ، فقالوا أذن بالشئ : علم ، وكأنهم قصدوا : سمع به، وأذنه : اعلمـه، ثـم قيـل استأذنه : طلب إذنه ، واصل المعنى : أعلمه بأنه سيفعل كذا فسمع كلامه ومن ثم أذن لـه، أى سمح.

وبعد أن انتقل المعنى صعدا من الحيوان إلى الإنسان المحترم عاد فهبط إلـى الجمـاد فصارت الأذن بضمة أو ضمتين – تعنى العروة أو المقبض.

القذة :

إن (المقذوذة) و(المقذذة) أيضا تعنيان الأذن، لكنهمـا تخصصـت بـالأذن المـدورة، وواضح أن أصلهما القذ : القطع أو القص، لقـولهم المقـذ (كـالمقص) : السـكين، والمقـذذ (كالموظف) : المقصص الشعر، كما تقدم.

أما (القذة) كالشدة فهى أذن الإنسان أو الفرس، والأصل على كل حـال أذن الحيـوان الذى كانوا يفترسونه ويقذون أذنه قذا ليأكلوها، كما لا زالوا يفعلون بأذن الذبيحة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القد (مرة أخرى) :

نعود إلى (القرد) زنة الفرد الذى هو العنق، وأصله (القد): القطع، ويمكننا أن نستنتج أن الكلمة، ومعها النحر والجيد، حديثة نسبيا، أى أنها نشأت فى عصور تربية الحيوان وذبحه، وبعد عصور الصيد والقتل ، من بعيد أو قريب ، كيفما اتفق.

- بتصرف عن مجلة لسان العرب. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مجلد 10/ج2 يناير 1973 الرباط.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com